Preview from Notesale.co.uk
Page 3 of 100

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

محمّد

Preview from Notesale.co.uk
Page 6 of 100

وربما أومأ السائلون موافقين .

نحن معك أن هدف محمد عليه الصلاة والسلام لم يكن التغيير الطبقى ، ولا كان شاغله فى الغار هو مسألة السادة والعبيد ، وسنوافق معك على أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان يتأمل فى الحقيقة ، وكان يطلب ما وراء الطبيعة . . وكان يريد الله . . ولكن أو لم يكن هذا هو عينه مطلب الفلاسفة أجمعين من سقراط إلى أفلاطون إلى أرسطو إلى كانت إلى هيجل ؟

لماذا لا تراه واحداً من هؤلاء ، وبعضهم كان أميًّا مثل سقراط .

لماذا تقول إنه نبى ؟ . لماذا هذا الإصرار على أنه نبى ؟

أعندك شواهد على إمكانك يمكن أن تقنعنا عقليًّا بنبوته ؟

وهى أسئلة متنوعة . وهى كلها جرًّا إلى موضوع ملامح النبوة فى حياة محمد . . وهو موضوع عاش فى ذهنى طويلا وأنا أطالع كتب السيرة وأطوف بين سطورها متأملا متدبراً [illegible] الإنسان الذى عاش الدنيا وعاش ومات كرجل بسيط متواضع .

ولن أحكى عن الخوارق التى ترويها السِّير عن حياة محمد . . فالإسلام لا يلجأ إلى الخوارق لإقناع الناس . . ومحمد كان يجاوب كل من يسأله الإتيان بخوارق قائلا : إنما أنا منذر ولست بصانع معجزات .

وخالد بن الوليد حينما أسلم مؤخراً ، وكان فارس قريش وسفاحها أيام الكفر ، وقف يقول :

« الآن استبان لكل ذى عقل أن محمداً ليس بساحر ولا شاعر ، وأن كلامه كلام رب العالمين ، فحق على كل ذى لب أن يتبعه » .

كان العقل والمنطق إذن هما وسيلتاه إلى الاقتناع ، وليست المعجزات ولا الخوارق .

Preview from Notesale.co.uk
Page 14 of 100

وحينما غضب أبو سفيان لمقالة خالد وقال ثائرًا : واللات والعزى لو أعلم أن الذى تقول حق لبدأت بقتلك يا خالد قبل محمد .

فأجاب خالد فى إصرار : فوالله إنه لحق على رغم من رغم .

فاندفع أبو سفيان نحوه ليقتله ، فحجزه عنه عكرمة بن أبى جهل ، وكان حاضراً ، وقال : مهلا يا أبا سفيان . . أنتم تقتلون خالدًا على رأى رآه . . والله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم .

كان الصراع إذن صراع رأى . .

وكانت حجة الإسلام هى العقل والمنطق فى كل الأوقات ، ولم تكن المعجزات ولا الخوارق .

وهذا هو عكرمة بن أبى جهل ، وهو أشد الشباب كفرًا وخصومة لمحمد ، بعد أن قتل أبوه بيد المسلمين فى بدر ، يقول فى خوف وحيرة : والله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبع أهل مكة محمدًا كلهم .

وقد خاف الحجة البينة التى رآها تكتسح الناس اكتساحاً . . ولم يخش من محمد معجزة ولا كرامة .

وإذا كانت هناك معجزة فى الموضوع . . فإنها لم تكن شق بحر أو إحياء ميت أو شفاء أبرص أو إخراج حية من عصا .

وإنما كانت المعجزة هى ذات محمد نفسه التى جمعت الكمالات وبلغت فى كل كمال ذروته .

كان محمد ذاته كسلوك وخلق وسيرة هو المعجزة التى تسعى على الأرض .

Preview from Notesale.co.uk
Page 15 of 100

ليست عظمة بل نبوّة

Preview from Notesale.co.uk
Page 26 of 100

Preview from Notesale.co.uk
Page 27 of 100

سوف نمضى نتصفح كتب السيرة وسوف نرى دونما حاجة إلى التدليل الخوارق أنه لم يكن رجلا كان أكثر من مجرد رجل عظيم .

هذا الرجل الفطرى الأمى البدوى البسيط الذى يسعى بين الناس لا تكلف . . يتكلم فى ثنائية لا يتصنع علما ولا تلزم كتاب ولا يتدارس مذهباً ولا يأخذ بأى سبب من أسباب العظمة البشرية . . لا جامعة ولا لقب ولا شهادة جامعية ولا ميراث مادى .

أى خلط نقع فيه حينما نخلط بين مثل هذا الرجل وبين المفكرين أصحاب المذاهب والدارسين والمتكلفين والعاكفين على الكتب والمتخصصين من حملة الدبلومات والمهيجين السياسيين أصحاب الأغراض والماكرين العظام الذين قلبوا الدنيا وخطفوا أضواء التاريخ لفترة من زمان .

ها هنا شيء مختلف تماماً .

ومن حكمة التدبير الإلهى أن يختار الله لرسالته هذه الفطرة البسيطة البدوية ليلقى إليها بكلماته حتى لا تتهم بأنها كانت تأتى بتلك الكلمات اجتهاداً .

Preview from Notesale.co.uk
Page 28 of 100

وقتل نسطاس زيداً فذهب شهيد الحب والإيمان والوفاء .

أما الأسير الثانى « خبيب » فحبسوه ثم خرجوا به ليصلبوه فقال لهم : ن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا . . فتركوه فركع ركعتين تمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم قائلا :

– أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة .

ورفعوه إلى خشبة فلما أوثقوه نظر إليهم بعين تقدح شرراً وصاح مغضباً :

اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بددًا ولا تغادر منهم أحدًا .

فأخذتهم الرجفة من صيحته واستلقوا على جنوبهم حذراً من أن تصيبهم لعنته ثم قتلوه .

وكان فى إمكان الأسيرين أن يفتديا حياتهم بالارتداد عن الإسلام . . ولكنه الإيمان واليقين والحب للدين وصاحب الدين ومبعث الله الذى هون سبيله الدنيا بما فيها .

وإننا لنسمع عن ذلك الحب من عروة بن مسعود الثقفى وكان سفيراً لقريش عند محمد فى مفاوضات الحديبية . . فلما رجع من سفارته حدث عن أمر محمد وأصحابه قائلا :

يا معشر قريش ، إنى جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت ملكاً فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه ، وإنهم لن يسلموه لشىء أبدًا .

وليس هذا عن غرام من محمد بالتعظيم وإنما عن حب وفداء ، وقد

Preview from Notesale.co.uk
Page 34 of 100

إلى المسيحية بل وعدوه أكثر من ذلك برده إلى قيادته فى الجيش فرفض عروة وأصر على إسلامه فقتل .

وكان من أثر ذلك أن انتشر الإسلام فى القبائل المتاخمة للعراق والشام حيث كان سلطان الروم فى ذروته .

ودخل فى الإسلام على هذه السمعة ألوف من قبائل أشجع وغطفان وعبس وذبيان وفزارة . . وألوف من قبائل سليم على رأسهم عباس بن مرداس .

والمسألة تحتاج إلى وقفة تأمل ، فإذا قلنا إن هؤلاء الصحابة العظام الذين أبلوا هذا البلاء قد خرجوا من مصنع محمد فما بال عروة والباقين ، إلا أن نقول إن هؤلاء الرجال الذين أشعت عليهم روح محمد العظيمة قد أصبحوا بدورهم قادرين على الإشعاع والتأثير فى الآخرين ، والآخرون بدورهم قادرون على التأثير فى غيرهم . وكأنما ذلك القبس قد أصبح ينتقل من يد إلى يد « كما يقول الصوفية فى تسلسل الواحد منهم أخذ القبضة عن شيخه فإذا اكتملت نفسه أصبح فى استطاعته أن يعطى القبضة لمريديه وهكذا » .

وأيًّا كان التفسير فإنك إذا أخذت تحسب بالورقة والقلم كيف حدثت هذه الأمور ، واستعنت بالعقل الإلكترونى وكافة وسائل الحساب الحديثة فإنك لا تستطيع أن تفسر كيف أن فردًا واحداً مضطهدًا مطارداً يؤثر هذا التأثير فى أفراد قلائل يعدون على الأصابع . . ثم يؤثر هؤلاء فى كثرة من مئات ثم ألوف تهزم الروم ثم الفرس « وكانتا دولتين كأمريكا وروسيا فى ذلك الوقت » يحدث كل هذا فى سنوات معدودة . . وابتداء من الصفر ومن بداوة مطلقة ومن عرب مشرذمين فى قبائل تقتل بعضها بعضًا بلا حضارة

Preview from Notesale.co.uk
Page 39 of 100

إلى النبي فينكر فنحاص قولته . . فينزل القرآن :

« لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ »

(آل عمران : ١٨١)

ويحاول اليهود الدس والوقيعة بين طوائف الأوس والخزرج من المسلمين ليشعلوها فتنة ، ويدعى بعضهم الإسلام ثم يمضى يدس فى الإسلام ماليس فيه . . ويحاول بعضهم ضرب الإسلام بالجدل وإثارة الشكوك ومحاصرة المسلمين بالأسئلة . . ماالله . . ما الروح . . إذا كان الله خلق الخلق فمن خلق الله . . فاذا التحم المسلمون بقريش فى غزوة بدر أشاعوا أن محمداً قتل . . فإن انتصروا ذهب الشاعر اليهودى كعب ابن الأشرف إلى مكة يتباكى ويشاطرهم الرثاء فى قتلى المشركين ويحرض العرب ويستنفر القبائل على محمد .

وكان محمد عليه الصلاة والسلام قد أخذ على اليهود عهداً بالسلام والموادعة فلما لجّوا فى حربهم على الإسلام وأرسلوا بعضهم إلى محمد يقولون له بعد انتصار بدر .

« لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة . . إنّا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس » .

حينذاك لم يبق لمحمد إلا القتال فحاصرهم فى قينقاع خمسة عشر يوماً لا يدخل عليهم أحد بطعام حتى لم يبق لهم إلا التسليم والنزول على شروط محمد . . فحكم عليهم بالجلاء عن المدينة تاركين وراءهم سلاحهم ومهاجرين إلى أذرعات بالشام .

Preview from Notesale.co.uk
Page 45 of 100

إِلاَّ غُرُوراً . وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰأَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً »
(الأحزاب : ١٠ — ١٣)

ويبلغ الفزع بالمسلمين كل مبلغ .

ويتهامس بعضهم . . كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

ويلتمس بعض الفوارس من قريش ثغرة فى الخندق فينقضون منها ويسرع على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين فيأخذ عليهم الثغرة ويلتحم بفارس فرسان قريش عمرو بن عبد ود وتدور مبارزة رهيبة يفلق فيها على هامته بضربة سيف

ويحاول نوفل بن عبدالله من الخيرة أن يقتحم الخندق بقفزة من فرسه فيهوى مع فرسه ويتحطم .

وتغرب الشمس والمسلمون يضعون أيديهم على قلوبهم وقد أصبحوا جزيرة معزولة يحيطها العدوان من كل جانب . . اليهود من خلف والعرب من كل مكان ألوفاً مؤلفة فى الدروع والحديد .

وهنا يتفتق ذهن نعيم بن مسعود عن حيلة ماكرة (ولم يكن اليهود يعلمون أنه أسلم) فيذهب إلى اليهود ويخوفهم غدر الأحزاب وأنهم لن يقيموا على حصارهم طويلاً ويقترح عليهم أن يأخذوا رهائن من جيش الأحزاب يكونون بأيديهم ليقاتلوا محمداً وهم آمنون إلى أن قريشاً وغطفان لن تخذلهم .

ثم يذهب متسللاً تحت جنح الظلام إلى قريش ليقول لهم محذراً غدر يهود إنهم سيطلبون رهناً بحجة الاطمئنان وفى الحقيقة بهدف تقديم هذه

Preview from Notesale.co.uk
Page 48 of 100

وكانت دعوته خلقية تهدف إلى الخير والعدل والمحبة وتدعو إلى نجدة الفقير والمريض واليتيم والأرملة .

وكانت المرأة فى أوربا فى ذلك الوقت يضع رجلها على بطنها حزاماً حديدياً له ترباس هو حزام العفة ليضمن وفاءها وكأنها قطعة أثاث . وكانت فى الجاهلية تدفن فى التراب طفلة وتباع كالمتاع كبيرة وكانت فى الهند تحرق على جثة زوجها الميت فجعل لها الإسلام حقوقاً وواجبات ، واحترمها طفلة وأمًّا وزوجة وحبيبة وشريكة عمر ، ولم ينقض محمد عليه الصلاة والسلام ما سبقه من أديان إبراهيم وموسى وعيسى بل أيدها وثبتها وباركها .

كان محمد يدعو إلى خير الجميع ولكنه اصطدم بمقاومة هائلة من الجميع .

Preview from Notesale.co.uk
Page 59 of 100

وحينما نزلت آية الدعوة :

« وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ . وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِين »

(٢١٤ – الشعراء)

صَعد محَمد الصَفا ونادى :

يا معشر قريش !

قالت قريش . . محمد على الصفا يهتف

وأقبلوا عليه يسألونه ما به .

قال . . أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقون .

قالوا . . نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبًا قط .

قال . . فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد يا بنى عبد المطلب ،

وكان الحنان والحب مجسداً

أحب الإنسان والحيوان حتى النبات حنا عليه فكان يوصى بالشجر ألا يقطع . . حتى الجماد شمله بحبه فكان يقول عن جبل أحد . . هذا الجبل يحبنا ونحبه . . حتى تراب الأرض كان يمسح به وجهه متوضئاً فى حب وهويقول : . . تمسحوا بالأرض فإنها بكم برة .

وتروى السيرة أنه لما كسرت رباعيته وشج رأسه يوم أحد شق ذلك على أصحابه فقالوا : لو دعوت عليهم . . فقال . . إنى لم أبعث لعاناً ولكنى بعثت داعياً ورحمة . . اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون .

ولما جاء [illegible] بن سعنة يتقاضاه دينا عليه وجبذ ثوبه جبذة منكرة آخذاً مجامع ردائه مغلظاً له قائلا : [illegible] يا بنى عبد المطلب مُطْل فانتهره عمر . . ابتسم النبى قائلا . . [illegible] وكنا إلى غير هذا [illegible] يا عمر . . تأمره بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن القضاء . . ثم قال : اقض ما بقى من الذى له (ثلاثة أيام) وأمر عمر أن يقضيه ماله ويزيده لما روعه فكان هذا سبب إسلامه .

والقصص عن حلمه وعفوه ومحبته كثيرة لا تنتهى .

وكان دائماً ذلك الرجل الكريم الذى وصفه أصحابه بأنه ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر أبداً .

لم يحدث أن ادخر درهماً .

وقد مات كما هو معلوم ودرعه مرهونة عند يهودى .

وكان يلخص سنته فيقول :

المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل دينى ، والحب مذهبى ، والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى ، والحزن رفيقى ، والصبر ردائى ، والصدق شفيعى ، والعلم

Preview from Notesale.co.uk
Page 78 of 100

أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليقتصّ منى . . ومن كان له عندى درهم فهذا مالى فليأخذ حقه منه .

ويلتقط أنفاسه ثم يعود فيقول :

أيها الناس . . سعرت النار . . وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يصف بذلك ما ينتظر الإسلام من بعده .

ثم يعاوده الضعف الشديد .

ثم نراه فى لحظاته الأخيرة وقد وضع رأسه فى حجر عائشة وهو يغمغم . . اللهم أعنى على سكرات الموت .

وتروى عائشة الفصل الأخير من حياته :

وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل فى حجرى فذهبت أنظر فى وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول :

« بل الرفيق الأعلى من الجنة » .

لقد اختار الرفقة مع الله على الحياة المخلدة فى الدنيا والآخرة

ويموت محمد ،

ويقبل أبو بكر مسرعاً إلى بيت عائشة ويستأذن للدخول . . فتقول له عائشة . . لا حاجة لأحد اليوم بإذن . . فيدخل ليجد النبى مسجى عليه برد مخطط فيقبل عليه حتى يكشف وجهه ثم يلثم وجهه قائلا . .ما أطيبك حيًّا وميتاً . . ثم يعيد الرأس إلى الوسادة ويرد البرد على وجهه ويخرج إلى الناس الذين أنكروا موته فى الخارج وعلى رأسهم عمر يهدد كل من يقول بموت النبى .

ويقف أبو بكر فيهم ليقول بصوت ثابت :

Preview from Notesale.co.uk
Page 91 of 100

هذه المجموعة

تحرص دار المعارف دائما على تقديم الأعمال الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم.. فأثرى ساحة الفكر والعلم.. وطَرَقَ أبوابًا جديدة لم تفتح من قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التى تحفل بالنظرات المعاصرة للفكر الدينى والمقارنة بالنظرات العلمية الحديثة.. والتى لاتزال تثير مزيدًا من الجدل المفيد.

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى القراء العرب فى الخليج إلى المحيط، كما ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية شاهدة بقدرته على العطاء المتميز المتنوع.

Preview from Notesale.co.uk
Page 99 of 100

دار المعارف

٠١٨٦٣٤/٠١

To: www.al-mostafa.com

Preview from Notesale.co.uk
Page 100 of 100